

خامات الحرف والصناعات في العهدين
الزيري والحمادي في المغرب الأوسط
Craft Materials and Industries during
the Zirid and Hammadid Periods in the Central Maghreb

أ.د. / عبد الحق مغزوز

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)

جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله

البريد الإلكتروني: abdelhak.mazouz@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/11/11م. تاريخ القبول: 2025/11/13م. تاريخ النشر: 2025/12/31م.

الملخص:

يعالج البحث موضوع استغلال الخامات الطبيعية في تطوير الحرف والصناعات خلال العهدين الزيري والحمادي بالمغرب الأوسط، بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (11-13م). وتشمل هذه الخامات مواد متنوعة؛ منها ما هو معدني مثل الحديد والرصاص والنحاس، والفضة. ومنها ما هو ذو أصل فلاحى مثل الكتان والصوف والقطن والدوم والحلفاء، ومنها ما حيواني مثل الجلود بمختلف ضروبها، ومنها ما هو ترابي مثل الخزف والفخار. وقد تمّ استغلال هذه الخامات المتنوعة لتلبية متطلبات المجتمع الحمادي، سواء في مجال الصناعات المعيشية اليومية، أو في الصناعات ذات الطابع الحربي والتجاري.. وأسهمت هذه الموارد في إنتاج مجموعة واسعة من المصنوعات التي عادت بفوائد اقتصادية واجتماعية على السكان. كما استثمرت الثروة الغابية في تأسيس قاعدة صناعية مهمة لصناعة السفن الحربية والتجارية، خصوصاً في موانئ بجاية، وبونة، والقالة، التي مثّلت مراكز حيوية لهذا النشاط. ومن جهة أخرى، استخرج المرجان من البحر، لا سيما من مرسى الخرز، واستخدم في صناعة الحلي كالقلائد، والأقراط، والأساور، وغيرها من عناصر الزينة. وقد مثل هذا التفاعل بين النشاط الصناعي والإنتاج الفكري الإبداعي المستند إلى الرصيد الثقافي للمجتمع، عاملاً أساسياً في دفع عجلة التطور الاقتصادي والتجاري في المغرب الأوسط خلال العهدين الزيري والحمادي.

الكلمات المفتاحية: الخامات الصناعية؛ الحرف التقليدية؛ المواد الأولية؛ الاقتصاد الحرفي؛ المغرب الأوسط؛ المعادن والصناعات.

Summary:

This study addresses the exploitation of natural raw materials in the development of crafts and industries during the Zirid and Hammadid periods in the Central Maghreb, between the 11th and 13th centuries CE (5th to 7th centuries AH). These raw materials included a wide variety of resources: metallic substances such as iron, lead, copper, and silver; agricultural products such as flax, wool, cotton, doum palm, and esparto grass; animal-based materials

like various types of leather; and earthen materials such as pottery and ceramics. These resources were utilized to meet the needs of Hammadid society, whether in daily-use industries or in military and commercial production. The diversity and availability of these raw materials enabled the manufacture of a broad range of products that had significant economic and social benefits for the population. Forest wealth, in particular, was invested in establishing an industrial base for building war and trade ships, especially in the ports of Bejaia, Bona, and El Kala, which became key centers of maritime industry. Additionally, coral was extracted from the sea, particularly from the Marsa al-Kharaz area, and used in the production of jewelry such as necklaces, earrings, bracelets, and other adornments. This interaction between industrial activity and creative craftsmanship—deeply rooted in the cultural heritage of the society—played a fundamental role in advancing economic development and stimulating trade in the Central Maghreb during the Zirid and Hammadid eras.

Keywords: Industrial materials; Traditional crafts; Raw materials; Craft economy; Central Maghreb; Metals and industries.

مقدمة:

تعتبر الحِرَفُ والصِّناعات من أهم مظاهر الأنشطة الاقتصادية التي كان لها دور مهم، ولا يزال، في حياة المجتمعات القديمة والحديثة، حيث أنها تلعب أدواراً مميزة في تنشيط اقتصاد الأمم وتطوير تجارتها. لذلك صَنَّفَ إخوان الصفا¹ الحِرَفَ أنها من أشرف الصنائع.

وقد كان لهذه الصناعة دور بالغ في نشر الرخاء والرفاهية وتثبيت الاستقرار في المجتمعات التي تزدهر فيها هذه الأنشطة الاقتصادية، حيث تعمل على توفير مستلزمات المجتمع، وتساهم في ازدهار النشاط التجاري وتكوين الثروة، مما يعود بالربح والفائدة على المجتمع والدولة معاً، وبالتالي تحقيق نهضة اقتصادية شاملة ومتكاملة.

غير أنَّ هذه الحرف ما كان لها أن تقوم وتستمر لولا توفر المواد الأولية، مثل الثروة النباتية، والحيوانية، والمناجم المعدنية، والثروة البحرية، وهي أساس النشاط الحرفي والصناعي. ولذلك سنعالج في هذا الموضوع هذه الخامات الطبيعية المتواجدة في المغرب الأوسط إبان العهد الزييري والحمادي، بين القرن الرابع والسادس الهجري (10م-12م). علماً أنَّ هذا الإقليم كان وما يزال يتوفر على عدد كبير من الثروات الطبيعية، موزعة بين الثروة المعدنية، والنباتية، والحيوانية.

لقد ساهمت هذه الخامات في تأسيس وبناء قاعدة صناعية وحرفية في ربوع البلاد، مما أدى إلى تنشيط الحياة الاقتصادية فيها، وتكوين شبكة من الأسواق التجارية في القرى والمدن، ساعد على ذلك

1- إخوان الصفا، 1975م، ص. 287.

وجود شبكة من الطرق تربط بين مختلف المدن والقرى. وأما ما زائد عن حاجة الناس فقد كان يُصدّر إلى خارج المغرب الأوسط، وقد ذكرت المصادر أن بعض الخامات مثل المرجان والحديد وحجر الرحي والملح والنحاس كانت تحول إلى مختلف الأقطار مشرقا ومغربا، وكان مرجان مرسى الخرز يصدر إلى الهند عبر مصر واليمن، وربما وصل إلى الصين، وهو ما عاد على الساكنة والمملكة عموما بعوائد مالية كثيرة.

1. المواد الخام النباتية (Raw plant materials):

لقد أولى سكان المغرب العربي قاطبة والمغرب الأوسط خاصة كبيرة للنشاط الزراعي بمختلف أنواعه، من حبوب وخضار وأشجار ونباتات صناعية متنوعة، وذلك لتلبية حاجاتهم الضرورية، والاتجار بما يزيد عن حاجاتهم، وقد أشار المؤرخون والجغرافيون إلى الثروة الزراعية والحيوانية التي كان يتميز بها المغرب الأوسط نظر لخصائصه الجغرافية وتعدد مناخه، ما أسهم في تنوع ثرواته الطبيعية. وهو ما أشار إليه ابن حوقل² في القرن الرابع الهجري قائلا: "وأما ما حاذى أرض إفريقية إلى آخر أعمال طنجة عن مرحلة إلى عشر فزائد وناقص فبلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتق والمزارع والضياح والمياه".

1.1. حرف تحويلية نباتية (Plant-based Crafts):

كانت هناك الكثير من المواد النباتية التي استغلت في الأنشطة الحرفية في المغرب الأوسط خلال تلك الفترة، من أبرز هذه النباتات التي تدخل في صناعة الأقمشة والمنسوجات؛ الكتان والقطن والعصفر والرمان:

1.1.1. الكتان (*Linum usitatissimum*)³: كان الكتان يزرع في المغرب الأوسط بوفرة لأغراض صناعية وتجارية في عدة مواقع جغرافية، وذلك لتوافر المناخ المناسب لهذا النوع من النباتات، خاصة وفرة المياه وصلاحية الأرض، والمناخ الرطب المناسب لذلك، وكان يستغل لصناعة الأقمشة والمنسوجات في القلعة وبجاية، وكان الزائد عن الحاجة يصدر للخارج. ومن المدن التي اشتهرت بزراعة الكتان حسب ما ذكره المؤرخون؛ تأتي مدينة بونة (عنابة) ومقرة ومسيلة، وكذلك مدينة طبنة جنوب بركة، ومدينة قررونة بمتيجة.

2- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 83.

3- وهو نبات حولي أو معمّر وينتمي للفصيلة الكتانية، والأجزاء المستخدمة في نبات الكتان هو الزيت والبذور، ويصل ارتفاع نبات الكتان إلى حوالي متر، وله ساق نحيلة وأوراق، وتتميز زهوره باللون الأزرق، أما البذور فلونها بني. يزرع الكتان في شرق البحر المتوسط إلى الهند ويزرع أيضاً في أوروبا، وكان يزرع أيضاً في بلاد المغرب.

وجاء أيضا في بعض المصادر ذكرٌ لهذا المنتج النباتي الصناعي خلال القرن الرابع والخامس والسادس الهجري. ومن أبرز هذه المصادر؛ ابن حوقل الذي أشار إلى زراعة الكتان في طنبنة⁴. كما أخبرنا اليعقوبي⁵ بزراعة هذه النبتة إلى جانب السمسم والعصفر في منطقة الشلف على ضفاف نهرها. أما البكري، فقد وصف بعض المنتوجات الزراعية في المغرب العربي عامة والمغرب الأوسط خاصة، وذكر من بين مزروعاتها زراعة النباتات الصناعية؛ مثل زراعة الكتان في مدينة طنبنة، ومدينة بونة لكثرة المياه بهما⁶. وهو ما أكدّه الإدريسي⁷ حيث قال: "وأهل طنبنة يزرعون فيها الكتان وهو عندهم كثير". كما أخبرنا أيضا بزراعة هاته النبتة في بونة⁸. وقد اشتهرت منطقة البليدة يقال لها متيجة (قزرونة أو خزرونة) بدورها بزراعة الكتان أيضا نظرا لمناخها الرطب وكثرة مياهها، حيث أنشئت على نهرها الكبير الأرحاء والبساتين وهي أكثر تلك النواحي كتانا ومنها يحمل وفيها عيون سائحة وطواحين ماء⁹.

1. 1. 2. القطن (Gossypium)¹⁰:

يعتبر القطن من بين النباتات الصناعية التي اعتنى بزراعتها سكان المغرب الأوسط، بالنظر لأهميته في تلبية احتياجات السكان من والمنسوجات والأقمشة، وكل ما كان يحتاج إليه الساكنة من الأكسية التي كانت تُصنَّع في مدن المغرب الأوسط، سيما بالقلعة وبجاية. من بين المدن التي اشتهرت بزراعة القطن مدينة المسيلة وطنبنة ونقاوس. وقد اشتهرت مدينة نقاوس بزراعة الكثير من النباتات والزرع والأشجار المثمرة، نظرا لكثرة مياهها وحسن مناخها، فهي ذات أجنة عظيمة ينبت فيها الكثير من الفواكه والجوز

4- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 85.

5- اليعقوبي أحمد، 1422هـ - 2002م، 115؛ العصفر هو نبات يشبه الزعفران لكن يختلف عنه، وهو عشبة شوكية بأزهار ملونة من الفصيلة النجمية وزهرته تسمى زهرة القرطم، وله فوائد صحية يستعمل للخوف والقلق. أما السمسم فمن فوائد بذوره يزود الجسم بالفيتامينات والمعادن ومضادات الأكسدة المختلفة، وله فوائد كثيرة للجسم، وهو ما أكدّه ابن سينا فقال: "السمسم ملين معتدل نافع للشقاق والخشونة والطحال ويحلل أورام الحادة ويذهب الكحة البلغمية. والدموية. (ينظر: د. محمد السقا عبد، السمسم كنز المعادن ومنجم الفيتامينات، شبكة ألوكة، تاريخ المشاهدة 2024/09/27، 00.03 سا.

<https://www.alukah.net/culture/0/98903/>

6- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 56، 77.

7- الإدريسي. أبو عبد الله، 2002م، ص. 269.

8- الإدريسي أبو عبد الله، 2002م، ص. 291.

9- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 65-66.

10- أدخل العرب زراعة القطن إلى المغرب والأندلس بعد الفتح من المشرق الإسلامي؛ ومنها انتقلت زراعته إلى المناطق المجاورة. للمزيد ينظر: علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي؛ دار الكتاب العربي مصر، 1957م، ص. 517. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: حمودة؛ تاريخ الأندلس السياسي؛ الاجتماع في حضارته ونظمه.

والكروم والقطن والزروع الكثيرة¹¹. ولم يقتصر زراعة القطن على نقاوس، بل كان يزرع أيضا في مدن أخرى من إقليم المغرب الأوسط، مثل طبنة ومسيلة، هذه الأخيرة التي كان القطن يوجد عند أهلها¹². وأما صاحب كتاب المغرب وأرض السودان، فقد اكتفى بذكر زراعة القطن في مدينة طبنة¹³. وقال أيضا في موضع آخر: "وبها صنائع وتجار وأموال لأهلها¹⁴. وهذا مؤشر بوجود ازدهار محلي بالمدينة، وهي تتمتع باقتصاد مزدهر ومتنوع مما يعكس دور المدينة كمركز اقتصادي وتجاري متميز في المنطقة. ومن بين النباتات الطبيعية التي كانت تستعمل في الأصباغ وكانت متوفرة في المغرب الأوسط نذكر منها كما وردت في كتب الجغرافيين:

1. 1. 3. **العصفر (Carthamus tinctorius)**: وهو نبات عشبي يدخل في صناعة الأصباغ ويعرف أيضا بزهرة القُرْطُم (Carthame)، أو الزعفران البري، هو نبات ينتمي إلى الفصيلة النجمية، تحتوي على العديد من الفوائد الصحية التي تجعله جزءًا من العلاجات التقليدية. يُستخدم العصفر في الطب الشعبي والطب البديل لفوائده العديدة. وهذه بعض الفوائد الرئيسية للعصفر:

يحتوي العصفر على خصائص مضادة للبكتيريا تفيد في علاج بعض مشاكل الجلد، ومضاد للالتهاب مما يساعد في تقليل التورم، يساعد في خفض مستويات الكوليسترول، كما يستعمل أيضا كمادة صيدلانية لعلاج الخلعة والقلق. ويستعمل كمادة صبغية لصبغ الشعر، ويستعمل في ويمكن مزجه مع الحناء للحصول على تدرجات لونية، بالجملة يعتبر العصفر من المواد الطبيعية التي توفر مواد صبغية آمنة ويعطي ألوانا جميلة ودافئة تستخدم في تلوين النسيج والتجميل. يتراوح لونه بين الأصفر أو الأحمر حسب لون الزهرة. وهو نوعان بري وريفي، وهذا الأخير في البساتين والجنان¹⁵. وكانت هذه النبتة تزرع على ضفاف وادي شلف إلى جانب الكتان والسهم¹⁶.

1. 1. 4. **الزعفران (Crocus sativus)**:

كانت هذه النبتة تزرع بكثرة في مدينة مجانة إلى جانب الزرع¹⁷، وتعد مدينة مجانة الوحيدة التي كان تزرع بها هذه النبتة، حيث اشتهرت هذه المدينة بالزعفران والزرع¹⁸. ويبدو أن هذه النبتة توقفت زراعتها في عهد الإدريسي في القرن السادس الهجري (12م)، كما يتضح من قوله: "وكان يزرع بها، أي بمجانة،

11- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 66.

12- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 59.

13- الإدريسي أبو عبد الله، 2002م، ص. 117.

14- الإدريسي أبو عبد الله، 2002م، ص. 263.

15- الدينوري أحمد، 1394هـ-1974م، ص ص. 167-171.

16- اليعقوبي أحمد، 1422هـ-2002م، ص. 115.

17- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 84.

18- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 49.

قديمًا بصل الزعفران¹⁹. وهذه إشارة صريحة تؤكد أن الزعفران لم يعد يزرع في تلك الفترة. من فوائد الزعفران تستخرج مادة صبغية تستعمل لصبغ الشعر، كما يستعمل في تلوين الأطعمة فيمنحها اللون البرتقالي، وتضفي عليها نكهة طيبة. كما يستخدم كصبغة حيث يتراوح لونه بين الأصفر الفاتح والذهبي العميق حسب طريقة التحضير والمواد المستعملة، ويستعمل بشكل رئيسي في صباغة الأقمشة وخاصة الحريرية والقطنية، ومن مميزات أصباغه الثبات والدوام إلى حد ما خاصة في الأقمشة المصنوعة من الألياف الطبيعية مثل الصوف أو الحرير. باختصار، الزعفران ليس مجرد توابل غذائية ثمينة، بل أيضًا مادة صبغية غنية بالخصائص الجمالية والبيئية، ويُعد خيارًا مثاليًا للأشخاص الذين يبحثون عن صبغات طبيعية وآمنة ذات لون مميز وأنيق. وللزعفران أيضًا فوائد طبية عديدة، فهو يستعمل لتخفيف بعض الآلام كالدورة الشهرية، وله أيضًا خصائص مضادة للالتهابات. وتحسين الهضم، وهو يحتوي على مضادات أكسدة قوية. ومفيد للعيون وكان قديمًا يستخدم في الكثير من العلاجات الطبية.

1. 1. 5. النباتات الطبية (Medicinal Plants):

كانت النباتات الطبية في المغرب الأوسط وما زالت جزءًا من التراث الثقافي والطبي للبلاد، حيث كانت تستخدم على نطاق واسع في علاج العديد من الأمراض والمشاكل الصحية. هذه النباتات تنبت في مناطق مختلفة من المغرب، بما في ذلك جبال الأطلس التلي والصحراوي، وهي تعتبر مصدرًا مهمًا لصناعة الأدوية التقليدية.

ففي جبل ميسون في بجاية كان ينبت فيه العديد من النباتات التي تستخدم لأغراض طبية في عهد الدولة الحمادية. من بين هذه النباتات، نجد شجرة الحوض (*Lycium barbarum L.*) ويسمى أيضًا شجر العوسج، وهما من الفصيلة الباذنجانية، والحوض شجر شوكي معمر، تتميز فروعها بالتعرج والتفرع، تكسوها أوراق صغيرة الحجم ذات لون أخضر، مع ميلانها إلى الصفرة قليلًا ولها أشواك حادة وسامة. وله استخدامات طبية كثيرة²⁰ في مجالات كثيرة منها التي كانت تستخدم في علاج أمراض العين خصوصاً البياض ويشفي من الرمذ وينفع القلاع ويقطع قروح الفم ويشفي من النملة والحماة ويقطع القروح السائلة والجرب، والحكة.

19- الإدريسي أبو عبد الله، 2022م، ص. 293.

20- ينتشر الحوض في الأراضي الحسوية والرملية الساحلية والرسوبية. يعدّ نبات العوسج من النباتات المشهورة منذ آلاف السنين. قال يوسف بن عمر بن علي الغساني في المعتمد في الأدوية المفردة في العوسج (ص. 251): "بإضافة إلى العلاجات السالفة الذكر حتى الحناء إذا عجن بمائه واختضب بها، ينبت الشعر. ويقول فيه أبو خالد المتطبب في مخطوطته "الاعتماد في الأدوية المفردة وقواها ومنافعها": إنَّ العوسج نافع لقروح الفم ووجع الجوف وضعف المعدة... إلخ. وجاء في كتاب الشفاء في النباتات أنَّ "العوسج" يفيد لشفاء الإمساك وأمراض أخرى. للمزيد يراجع: القدس العربي، العوسج، 23/11/2024، 22:00 سا. <https://www.alquds.co.uk> / 2021/03/ شوهه يوم: 27/11/2024، 22:00 سا.

والسقولوقندوريون، ويعرف بالعقربان، لا ساق له ولا زهر ولا ثمر، يقول يوسف بن عمر الغساني: "هي حشيشة لطيفة، وليست بجلوة فذلك صارت تفتت الحصة التي في الكلى، وتحلل صلابة الطحال²¹، والبرباريس، ويعرف أيضا بعود الريح، وهو نبات شائك أوراقه متعاقبة، أزهاره متعددة الألوان، تجميعها عنقودي وثمارها عنبية حمراء صفر اللحاء: معدي مدر للصفراء خافض للحرارة مسهل. الأوراق: قابضة مضادة للخمر، الثمار: قابضة منقية وغذية²².

والقسطون، والقنطريون الكبير²³ (Erythraea Centaurium Pers) وله فوائد كثيرة، يذكر يوسف بن عمر الغساني خواصه في الطب التقليدي فيقول: يشفي الجراح والقروح وآلام المفاصل، وأعضاء الصدر، أعضاء الغذاء ينفع من سدد الكبد، يدر الطمث ويخرج الجنين ويقتل الديدان ويفيد الحميات وأمراض كثيرة²⁴. كما ينفع من الهتك والفسخ والعارض في العضل، وضيق النفس والسعال والعنتيق والربو ونفث الدم وضيق الصدر ومنافع كثيرة جدا.

الزراوند: (Aristolacheia Clematitis): ومنه المدحرج ومنه الطويل، هو نبات معمر ذو سوق متفرعة مسدسة المقطع أوراقه جرداء وأزهاره إبطية خواصه في الطب القديم يقطع البلغم والرياح والسدد ويدر الفضلات، يعالج ورم الطحال يلحم القروح، نافع للربو والسعال والمفاصل، وله علاجات أخرى كثيرة²⁵. وكان يستعمل قديما لتنقية الرحم بعد الولادة وللدغ الأفاعي²⁶.

الأفسنتين²⁷، والاسم العلمي هو Achillea Millefolium، هو نبات عشبي معمر دائم الاخضرار، غزير التفرع القاعدي أوراقها أخضر فضي أو أصفر مخضر، ويستعمل في العلاج التقليدي، يعالج قواقع البلهارسيا، وتفتيت حصوات الكلى والمرارة، ومنبه للجهاز الهضمي ومدر للصفراء وتسكين الآلام وأمراضا كثيرة.

أيضا، في جبل تاكربوست بقلعة بني حماد، كان يوجد نبات الغليون الحراني الذي كان يُستخدم لعلاج لدغات العقارب. كان الأهالي يزعمون أن شرب درهمين من هذا النبات يمكن أن يقي الشخص من أي ألم ينجم عن لدغات العقارب طوال العام فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب²⁸.

21- للمزيد يراجع: يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، 1421هـ-2000م، ص ص. 166-167.

22- للمزيد عن هذه النبتة يراجع: وديع جبر، 1407هـ-1987م، ص ص. 22-23.

23- للمزيد يراجع: يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، 1421هـ-2000م، ص. 289؛ وديع جبر 1407هـ-1987م، ص. 328.

24- عقيل محسن، 1423هـ-2003م، ص. 437.

25- نفسه، ص ص. 236-240.

26- جبر وديع، 1407هـ-1987م، ص ص. 145، 147.

27- للمزيد من المعلومات عن هذه النبتة، يراجع: محسن عقيل، 1407هـ-1987م، ص ص. 48-53.

28- الإدريسي، أبو عبد الله، 2002م، ص. 255؛ عويس عبد الحليم، 1411هـ-1991م، ص. 271.

وتذكر المصادر أنه كان في قلعة بني حماد أحد أشهر العلماء العارفين بالنباتات الطبية وصناعة الأدوية، وهو الطبيب والصيدلي والكيميائي عمر بن البيدوخ أبو جعفر القلعي، الذي ولد في القلعة، ولكنه طوف في الآفاق ومات في دمشق سنة 575هـ. كان هذا العالم خبيراً في الأدوية المركبة والمفردة، كم كان خبيراً في تشخيص الأمراض وعلاجها. وله مؤلفات عديدة مثل حواش على كتاب القانون لابن سينا، وشرح الفضول للفيلسوف أبوقراط في قصيدة من بحر "الرَّجَز"، وذخيرة الألباب في الباءة.

ومن العلماء الذين فعلوا في كيمياء الفضة في تلك الفترة العالم الملي علي بن أبي القاسم محمد أبو الحسن التميمي المغربي القسنطيني المتكلم الأشعري المتوفى بدمشق 18 رمضان 519هـ²⁹.

هذا يشير إلى اهتمام المجتمع الحمادي بالأعشاب الطبية واستخدامها في علاج الأمراض بالطرق التقليدية المعروفة في ذلك الزمن. كما كان لديهم أطباء بارزون مثل محمد بن أبي بكر المنصور القلعي الذي نبغ في الطب والرياضيات والحساب وعلم الفرائض³⁰.

من المهم الإشارة إلى أنّ هذه النباتات بما في ذلك الأصواف والجلود كانت تشكل قاعدة صناعية هامة في مجال النسيج الذي ازدهر في كل من القلعة وبجاية، وكان من بين الصناعات التي تطورت هناك صناعة الألبسة الحريرية والصوفية والقطنية، وبعض المنتجات الجلدية والعشبية، وقد بلغت أسعار بعض الألبسة والخفاف مبالغ مرتفعة جداً، كما بينا سابقاً، وهو ما أشار إليه بعض المؤرخين.

وقد كان المغرب الأوسط يشتهر بتصنيع العديد من الألبسة من مواد مختلفة موجهة للنساء والرجال والأطفال. ويذكر لنا المقدسي بعضاً منها فيقول: رجال المغاربة قليلاً ما يتطلسون، وكثيراً ما يجعلون الرداء بطاقيين ثم يطرحونه على ظهورهم، مثل العبأة أصحاب القلائس المصبغة، والبربر بيرانس سود وأهل الرساتيق (وهي القرى أو الأطراف) بأكسية، والسوقة وهم الرعية، بمناديل³¹.

كانت الألبسة تصنع في ورشات بالقلعة وبجاية، وقد بلغت من الجودة والحسن والتنوع كالفتوحيات والأقراق الزرارية، وهي النعال، ما جعلها من الأكثر طلباً في بلاد المغرب. ويخبرنا صاحب الاستبصار عن هذه الصناعة في العصر الحمادي فيقول: "وكانت مدينتا قلعة بني حماد وبجاية تصنعان ملابس بديعة وفاخرة لا يضاهيها لباس في الجودة، معدة لسروات القوم وشرفاؤهم". ويضيف في موضع آخر: "وتصنع بمدينة قلعة بني حماد أكسية ليس لها مثل في الجودة والرقّة إلا الوجدية التي تصنع بوجدة، يساوي كساء عيد من عمل القلعة ثلاثون (30) ديناراً"³².

29- بونار رايح، 2019م، ص. 208؛ عويس عبد الحليم، 1991م، ص. 270.

30- الكعاك عثمان، ب.ت، ص. 270.

31- المقديسي شمس الدين، 1991م، ص ص. 238-239.

32- المراكشي ابن عذارى، 1852م، ص. 140.

وكان بعض من هذه الألبسة والأكسية ينسب إلى قلعة بني حماد، نظرا لطابعها المحلي وانفراد القلعة بصناعتها، فقد كانت تتخذ بها لبابيد³³ الطليقان جيدة غاية، وبها الأكسية القلعية الصفيقة النسيج الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الإبريسم³⁴. الإبريسم هو الحرير. وهذه إشارة إلى جودة وحسن هذه الألبسة المصنوعة من خليط من الصوف الناعم المنزل والممزوج مع الذهب، تحسبه حريرا من شدة نعومته وبريقه. كما اشتهرت مدينة بجاية بصناعة نوع من العمامات الرفيعة ذات السعر المرتفع وجودة الصنعة، وحسن الطرز والتذهيب. كان أمراء بنو حماد يلبسون هذه العمامات المسماة عمام الشرب، لأنها مصنوعة من كتان رقيق يعرف باسم (الشرب) وكان هذا النوع من الكتان يصنع محليا. ويخبرنا صاحب الاستبصار عن عمام ملوك بني حماد فيقول: " وكانت لملوك صنهاجة عمام شرب مذهبة، يغلون في أثمانها، تساوي العمامة الـ500 دينار والـ600 دينار وأزيد، وكانوا يعممونها بأقن صنعة فتأتي تيجانا، وكان ببلادهم صناع لذلك، يأخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين أو أزيد، وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس يعممون عليها تلك العمامات³⁵." تدل هذه الإفادة على مدى رفاحية المجتمع الحمادي وتطور ملبسه، وخاصة سروات القوم (الأسياذ)، كما أنها تشير إلى وجود ورشات ومحلات لهذا الغرض، بالإضافة إلى حرفيين وصناع مهرة ذوو كفاءات عالية في النسيج والتفصيل. وأما غلاء هذه الألبسة فقد كان نتيجة لجمال تصميمها، وطريقة لفها، وجودة الخيوط المستخدمة في صناعتها. كما تظهر هذه الإفادة أيضا وجود أصناف كثيرة ومتعددة من الأنسجة الرفيعة غالية السعر، التي لا يمكن شراؤها إلا من قبل الأغنياء. والعمامة هي غطاء رأس يتكون من شريط مستطيل من القماش يُلف حول الرأس وكان فقهاء المالكية يستكرون رداء العمامة دون رداء، وقد كان طرف العمامة المعروف بالذؤابة يحاط بالعنق ولا يجوز حلق العنق إلا إذا كانت العمامة مغطاة بالرداء حسب المذهب المالكي³⁶. وكانت العمامة تعتبر جزءا من زي كامل يشمل الرداء. وأما الطاق أو ما يعرف بالطيلسان فهو نوع من الألبسة التي كانت تصنع في القلعة. وهو عبارة عن وشاح كان يرتديه الرجال³⁷.

1. 2. النباتات الغابية والعشبية (Forest and Herbaceous Plants):

تعتبر الغابات مصدرا رئيسا للكثير من الحرف والصناعات الخشبية. وقد كان المغرب الأوسط يتوفر على ثروة غابية كبيرة جدا، خاصة في شمال شرق المملكة الحمادية، على طول شريطها الساحلي،

33- لبابيد جمع ومفردها لبأدة، وهو لباس من صوف مشمّع يلبس على الرأس للوقاية من المطر أو البرد. عن: لسان العرب لابن منظور، "حرف اللام" لبد، 160/13.

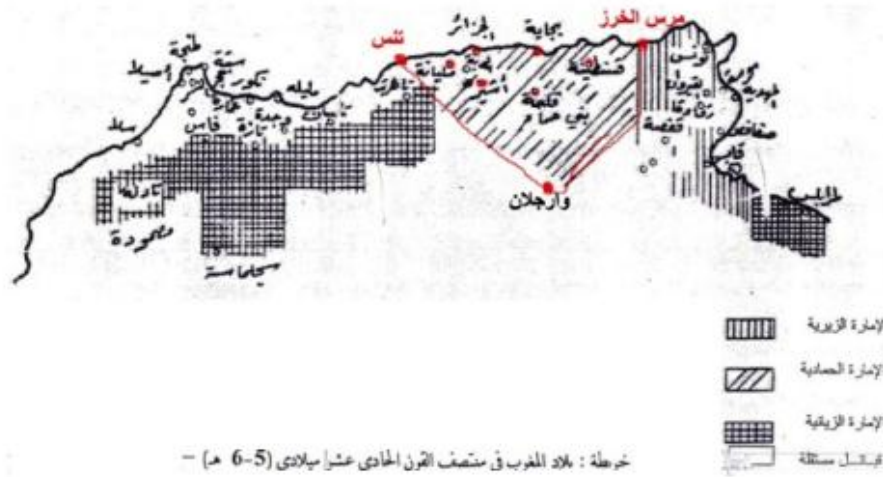
34- الحموي ياقوت، 1397هـ-1977م، 4، ص. 390.

35- المراكشي ابن عذاري، 1852م، ص. 129.

36- المالكي أبو بكر، 1983م، ج. 2، ص. 247.

37- نفسه، ج. 1، ص. 108.

وتحديدا في مناطق جيجل وعنابة والقالا. وقد ساعدت هذه الثروة الغابية على ازدهار الكثير من الحرف التي تعتمد على الخشب كمادة أولية مثل صناعة الأثاث المنزلي، وأدوات الفلاحة والبناء، والأواني المنزلية، بالإضافة إلى العديد من الأدوات التي كان يحتاج إليها الساكنة في حياتهم اليومية. كما قامت على هذه المادة صناعة متكاملة للسفن التجارية، والقوارب الحربية في ذلك العهد في مدينة الناصرية (بجاية)، ومرسى الخرز وبونة، حيث أنشئت بهما مرافئ ودور لصناعة السفن، وهو ما أخبرنا به كلا من البكري والأديسي وصاحب كتاب الاستبصار³⁸، فذكروا أن هذه المدن كانت تشكل قاعدة لهذه الصناعة، بفضل وفرة الأشجار وتنوعها في جبال المنطقة، وذلك نتيجة للمناخ الرطب وكثرة الأمطار التي تسقط فيها وهو ما يبرز الفاعل والعلاقة المتينة بين البيئة والطبيعة والمناخ الرطب والثروة الغابية وحياة الساكنة واهتمامهم بالحرف اليدوية وصناعة السفن في سياق جغرافي وتاريخي.



عمائم تماثل العمائم القلعية. عن:
GOLVIN, L., 1957.

نموذج لعمامة قلعية لشخص
(مقتدى الصدر) مرسومة على قطعة
خزفية. عن الباحث.

38- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 82؛ العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد)، 1971م، ص. 68؛ مجهول
مراكشي، 1852م، ص ص. 129-130.

كما انتشرت صناعة الزيت البالغ الجودة بأقاليم بجاية، فضلا عن وجود معدن الحديد الذي يدخل في صناعة المسامير وبعض اللواحق المعدنية التي تتطلبها صناعة السفن، كما اشتهرت بجاية بصناعة القطران المقطر من الفحم³⁹. علما أنّ هذه المادة لها استعمالات كثيرة في صناعة السفن كختم لألواح الأسقف وعزل الأشرعة والقوارب عن الماء، وختم هياكل السفن والقوارب، وكان هذه الاستعمال جاريا لآلاف السنين في صناعات السفن القديمة. كما كان الزيت أيضا يستخدم في صناعة السفن، بحيث كانت السفن والقوارب تُجْلَفُطُ به لسد الثقوب ومنع تسرب الماء إلى الداخل. كما أوضحنا، كانت العناصر الأساسية لصناعة السفن في دولة بني حماد متوفرة بشكل كبير مما ساهم في تصنيع وتطوير السفن بشكل عام، هذا التوفر في الموارد الطبيعية مثل الخشب والزيت والقطران والمعدن، ساعد في تحسين جودة السفن وقدرتها على الإبحار لمسافات طويلة، حيث لعبت دورا حيويا في حماية سواحل الدولة من جهة، وممارسة الغارات البحرية على سواحل الصليبيين لفترة طويلة من جهة أخرى، قبل أن تبدأ الدولة في الانهيار وتضمحل وتفقد قوتها، مما أدى إلى سقوطها عام 546هـ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الغابات كان تحتوي على أنواع عديدة من الأشجار التي تتميز بصلابتها العالية، مثل شجر الزان الذي يعد من أحسن الأخشاب لصناعة السفن⁴⁰، بالإضافة إلى شجر الأرز الأطلسي وشجر السنديان الفليني أو بلوط الفلين الذي يستعمل لحاؤه في صناعة مادة الفلين، وشجر الخروب، وشجر الجوز ونباتات شجرية وعشبية أخرى كثيرة ومتعددة يصعب حصرها. وكانت هذه الغابات مصدر رئيسا يسترزق منها الساكنة، بالإضافة إلى كونها موردا للكلاً للحيوانات، كما كان خشبها يصدر إلى أوروبا في العهد العثماني.

1. 2. 1. شجر الدوم (Hyphaene thebaica): ويعرف أيضا بالنخل القزم (Doum Palm) وهو نوع من النخيل ينتشر في الكثير من مناطق إفريقيا وخاصة مصر والسودان، وتستخدم ثماره في الغذاء والطب الشعبي. وعلى الرغم من عدم وجود نصوص تاريخية تذكر هذا النشاط الحرفي أو بقايا أثرية تعود لتلك الفترة الزمنية، نظرا لهشاشة هذه المادة وعدم قدرتها على مقاومة العوامل الطبيعية، إلا أننا لا نشك قيد أنملة، في أنّ سكان الجنوب الكبير كانوا يمارسون صناعة السلال والكثير من المنتجات التقليدية التي تعتمد بشكل كبير الموارد الطبيعية المتجددة مثل شجر الدوم والديس والحلفاء، والقصب والخوص والقش وهو الجزء المتبقي من الحبوب بعد الحصاد ويستخدم في صناعة السلال الصغيرة أو الزخرفية يعزى ذلك إلى انتشار هذه الأشجار والأعشاب في جنوب الدولة الحمادية.

تعتبر حرفة الدوم في الجنوب، وتعرف في وقتنا هذا بالصناعة التقليدية كمصدر دخل للكثير من السكان رجالا ونساء، حيث يصنع من الدوم الكثير من الأدوات والأواني المنزلية مثل السلال، وحصائر، وسجاجيد الصلاة، والمظلات، والبراذع، وبعض أواني الطبخ لطهي الطعام مثل (كسكاس)، وغير ذلك

39- الإدريسي أبو عبد الله، 2022م، ص. 259-260.

40- FÉRAUD, M. C., 1868, p. 380.

من الأدوات التي تلبي احتياجات الناس اليومية من هذه المادة الحيوية. علماً أن هذه الحرفة كانت في الغالب حرفة عائلية تمارس في البيوت، ويبيع منتوجها في الأسواق. حيث تُعد مصدراً مهماً للدخل للعديد من الأسر، خصوصاً في المناطق الريفية حيث لا تتوفر الكثير من الفرص الاقتصادية الأخرى. وأما النخيل فإنها تمثل جزءاً أساسياً من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الصحراوية بصفة خاصة، وهي ليست مجرد مورداً اقتصادياً وإنما هي جزء من التراث الثقافي للمجتمعات التي تستخدمها. وقد استخدمت أشجار النخيل في صناعة الكثير من المنتجات مثل الأبواب والنوافذ وعوارض تسقيف البيوت، بالإضافة إلى صناعة الحبال. واثاث المنزلي، والسجاجيد.

يُذكر أن هذه الحرف اشتهر بها سكان الجنوب بشكل خاص، وانتشرت أيضاً في الأطلس الصحراوي وبعض المناطق في الشمال بفضل وجود هذا النوع من الأشجار فيها.

2. المادة الترابية (Earthy material) أو مادة الطين: الطين هي مادة طبيعية تكون من جزئيات دقيقة جداً من المعادن التي تتميز بخصائص فريدة. ويحتوي الطين على معدن مثل السيليكا والألومينا والحديد والمغنيسيوم، ويمكن أن يختلف لونه بين البني والأحمر والأصفر والأبيض حسب نوع المعدن الموجود فيه.

للطين دور مهم في إنتاج الأواني الخزفية والفخار. بفضل مرونته العالية. ومنذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا، كان الطين ولا يزال مصدراً أساسياً ومهم لصناعة العيد من المنتجات الطينية، مثل الأواني المنزلية. وقد كان الحرفيون وعامة الناس يمارسون هذه الصناعة لتلبية احتياجاتهم اليومية. من الأواني والأوعية المنزلية ذات الأشكال المتعددة.

يأتي في مقدمة هذه المنتجات الأدوات الفخارية والخزفية ذات الوظيفة المنزلية كالقدور والقصاص والأطباق والصحون، والأقداح والمصابيح الزيتية، والجرار لحفظ السوائل كالزيت والماء أو لحفظ القديد والسمن وغير ذلك من الأوعية والأواني التي كان يستخدمها الإنسان في حياته المعيشية.

وقد تفتن الإنسان الحمادي لأهمية الطين في حياته فاستخرج منه كل ما يحتاجه من أدوات منزلية وأخرى معمارية، محولاً إياه إلى مادة حيوية في مختلف جوانب حياته، كما شكل منه المربعات الخزفية التي وظفها في تغليف وكسوة الأسطح مثل الأرضيات والجدران بألوان زاهية متعددة خاصة للونين الأخضر والبني وأحياناً اللون الذي يشبه صفار البيض. مما أضفى جمالا على المباني، وحقق أيضاً خصائص عملية مثل العزل الحراري ومقاومة الرطوبة.

كما شكّل الطين المادة الأساسية لتصنيع بعض التحف الفخارية والخزفية لأغراض التزيين، وهي أدوات صغيرة مثل القنينات والأقداح والأكواب، بالإضافة إلى تماثيل حيوانية وبحرية وطيور، بعضه هذه الرسوم عبارة عن مشاهد الصيد البري والبعض الآخر مثل مشاهد الصيد البحري بقوارب صيد. استخدمت كحلي للتزيين (Byblos). وقد كشفت لنا الحفريات الأثرية الكثير من هذه المصنوعات الطينية التي تعود إلى العهد الزيري والحمادي، وهي الآن محفوظة في المتاحف الوطنية، تم استخراج معظمها من موقع قلعة

بني حماد وموقعي أشير وسطيف، وهي تتميز بجمالها وبهاء ألوانها ودقة صناعتها التي تعكس مهارة الحرفيين في تلك الحقبة. بعضها مما يعرف بالبريق المعدني وهو أرقى وأسمى ما بلغته هذه الصناعة في العالم الإسلامي. هذا النوع من التغطية يعكس تطوراً تقنياً وفنياً عميقاً في الصناعات الخزفية، حيث يُصنع باستخدام خليط خاص من المعادن ويحرق في درجة حرارية محددة فيضفي على التحفة لمسة من اللمعان الساحر، مما يعزز من قيمتها الجمالية والتاريخية. كما أنّ استخدام البريق المعدني يعد علامة على تقدم الفن الخزفي في العصور الإسلامية.

3. صناعة الحجر والرخام (Stone and Marble Industries): استعمل الحرفي الحمادي الرخام والحجر في البناء وفي صناعة وتشكيل الكثير من التحف والأغراض التي كانت تلبي احتياجاته الأساسية.

3. 1. صناعة الحجر (Stone Industry): كانت هذه المادة كثيرة الوفرة في القلعة التي تحيط بها الجبال من جميع الجهات. وكان الحجر الرملي والكلسي من أكثر هذه المادة استخداماً وتوظيفاً في تلك الفترة، استعمل حرفيو بنب حماد وقبلهم الزيريون الحجر كمادة أساسية في بناء مدنهم مثل القلعة وأشير وبجاية وغيرهم. كما نحتوا من الحجر تماثيل وشواهد قبور مختلفة الأشكال والأحجام خاصة ذوات الشكل الهرمي نقش عليها كتابات بالخط الكوفي ليعود الأقدم منها إلى عام 488هـ.

3. 2. صناعة الرخام (Marble Industries): وجد في القلعة وبجاية نوعان من الرخام؛ الرخام الرمادي والرخام الأبيض، أما الرمادي فقد استعمل في مدينة القلعة، وأمّا الرخام الأبيض فقد استعمل في بجاية. ومن بين المناجم المعروفة في تلك الفترة، بالإضافة إلى منجم رخامي آخر بناوحي ندرومة من النوع الجيد المعروف باسم (أونيكس - Onyx).

كان الرخام من الصخور الكلسية المتحولة، يتميز عن الحجر بالجودة والشفافية والنعومة، وهو أعلى سعراً من الحجر. استعمل الرخام في ذلك العصر في تبليط الأرضيات والجدران، وصناعة شواهد القبور، كما نحتت منه تماثيل لأسد ذات أحجام مختلفة، وكان الأسد يعد شعار أمراء بني حماد، فنحتوا له تماثيل على الحجر والرخام، كما رسم على الخزف والفخار وعلى المعادن، لما كان يرمز إليه هذا الحيوان من شجاعة وقوة وبسالة. لهذا السبب اتخذ أمراء بني حماد رمزا لهم وموضع فخر بشجاعتهم وبسالتهم في حروبهم ومواجهة أعدائهم، ووضعوا تماثيلهم أمام مداخل قصورهم. وقد قال فيه ابن حمديس أبيات شعرية يصف حال الأسد⁴¹. كما كانت حيطان قصر اللؤلؤة ببجاية الناصرية مكسوة بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، وقد نقش أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد، ولا شك أن اللازورد هذا كان يجلب من جبال كتامة بجيجل⁴².

41- ابن حمديس عبد الجبار، ب.ت، ص ص. 549-550.

42- المراكشي ابن عذاري، 1852م، ص. 130.

هذا الاستخدام الفاخر للرخام يعكس المستوى المتقدم للفن المعماري في تلك الفترة، ويظهر كيف كان يتم توظيف المواد الفاخرة في تزيين القصور والأماكن المهمة لتأكيد هيبة الحكام وعظمة الدولة.

4. **الثروة الحيوانية في الصناعات الحرفية** (Animal Resources Used in Handicrafts): تعد الحيوانات من أهم مصادر توفير المواد الأولية للصناعات والحرف التقليدية لقد كان لانتشار المراعي في مختلف أقاليم المغرب الأوسط في السهول والسفوح والسهوب الصحراوية دور حاسم في نجاح تربية الثروة الحيوانية. فوفرة المرعى في الشمال والجنوب ساعد على تنوع وتعدد تربية الحيوانات، ففي الشمال ازدهرت تربية الأغنام والماعز والأبقار والخيول والبغال والكرّج بصفة عامة، وذلك بفضل وفرة الكلال من حشيش وأعشاب في السفوح والسهول والغابات.

واشتهرت منطقة الجنوب الغنية بأعشابها الصحراوية وخاصة الحلفاء بتربية الأغنام والإبل والخيول، ومعروف عن المغرب العربي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً بتنوع المناخ بين متوسطي رط في الشمال، مناخ قاري في الهضاب العليا إضافة إلى المناخ شبه الصحراوي والصحراوي جنوباً، وكان لهذا التنوع البيئي أن ساهم في تنوع الأعشاب التي كانت تشكل غذاء غنيا للحيوانات مما دعم نمو الثروة الحيوانية في مختلف ربوع المغرب الأوسط.

كما أشار ابن حوقل إلى طبيعة المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري بقوله: "وأما ما حاذى أرض إفريقية إلى آخر أعمال طنجة عن مرحلة إلى عشر فزائد وناقص فبلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياح والمياه"⁴³.

وجاء في كتاب أحسن التقاسيم وصفاً دقيقاً للمغرب الأوسط: "وهذا الإقليم بهيئاً، كبيرٌ سرى، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخاء. به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض نزهة". ويصفه في موضع آخر فيقول: "هو إقليم جليل كبير". طویل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الأقاليم مع الرخص كثير النخيل والزيتون به مواضع الحر ومعادن البرد"⁴⁴.

وقد أكد اليعقوبي والبكري والإدريسي هذا الوصف، حيث أجمعوا على أنّ أرض المغرب العربي هي أرض خصبة تتميز بالزراعة والرعي، تكثر فيها ألوانا من الفواكه اللذيذة، إضافة إلى الحبوب والزرع والأغنام والكرّج الكثير. وهي متوفرة بكثرة في المدن الكبرى وفي القرى والبوادي، ويحول الفائض من الإنتاج الزراعي والحيواني الذي يزيد عن حاجات أهل البلد إلى إفريقية والمغرب الأقصى، والمشرق أو الأندلس. عبر الموانئ الساحلية أو القوافل البرية نحو السودان الغربي.

وتعتبر الماشية من الموارد الأساسية للبدو وسكان القرى والرساتيق، وكانت الماشية من أهم الثروة الحيوانية لسكان المغرب بشكل عام. ومن أكثر الماشية انتشاراً الغنم والبقر والماعز والنّعْم وهي الإبل وسائر الكرّج من الدواب (حمير وبغال وخيول). وكانت أكثر أموال أهل المغرب الأوسط الماشية من البقر

43- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 83.

44- المقديسي شمس الدين، 1906م، ص ص. 215-236.

والغنم سائمة في الجبال، ومن وبين الحيوانات التي كان يتم التجارة بها كانت الغنم، والصوف، والدواب والدواب وسائر الكُرْع⁴⁵.



لا شك أن سبب اهتمام سكان المغرب بتربية الحيوانات يعود إلى الفوائد العديدة التي كانت تعود عليهم منها، مثل اللحوم والألبان والجلود والأصواف، فضلاً عن استعمال بعضها في التنقل والأعمال الفلاحية كحرث الأرض، ودرس المحاصيل، وكذلك في الركوب، ومآرب أخرى مثل التجارة.

هذا التنوع البيئي والمناخي لم يؤثر فقط في الأنماط الزراعية، بل ساهم أيضاً في تطور وازدهار تربية الثروة الحيوانية في تلك الفترة. كان هذا التنوع البيئي بمثابة الأساس الذي دعم استدامة الثروة الحيوانية في المغرب الأوسط، مما جعلها أحد الركائز المهمة للاقتصاد الزراعي والحيواني للمغرب الأوسط، معتمداً على تنوع ثرواته الطبيعية وخصوبة أراضيه الزراعي والحيواني، مما جعله جزءاً رئيسياً من شبكة التجارة الإقليمية والعالمية في العصور الوسطى.

4. 1. صناعة الجلود (Leather Industry): تعدّ جلود الحيوانات وأصوافها من أهم المواد الخام التي كانت تستخدم في الصناعات التحويلية، حيث يتم تحويلها من مادة خام إلى منتجات مصنعة كانت الجلود تُدبغ في ورشات خاصة باستخدام الخضار أو المواد المعدنية، إضافة إلى غسلها بالماء لإنتاج جلود صلبة تصلح لأغراض متعددة تصنع منها التروس والخفاف، والفِزَاء، وكذلك الملابس الجلدية التي تصنع من جلود الغنم والبقرة والماعز. كما يصنع من جلد الماعز أوعية لحفظ السوائل مثل القرب الخاصة

45- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص ص. 77-78؛ للمزيد عن هذه الثروة يراجع: البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 60؛ الإدريسي أبو عبد الله، 2022م، ص. 291.

بالماء واللّين) وأخرى لحفظ الحبوب تعرف في يومنا هذا بالمزود، ومن جلود الماعز يصنع أيضا المزود وهو مزمار يستخدم كآلة موسيقية.

4. 2. صناعة الصوف Wool Industry والمرجان: تعتبر الصوف من المواد الطبيعية ذات القيمة النفعية، حيث تتميز بخصائص متعدّدة تجعله مناسباً في العديد من الصناعات والمنتجات. فبعد جز صوف الأغنام والإبل تُنظف وتُمشط وتُغزل لتصبح جاهزة للنسج، ونظراً لتمييزها بحفظ الحرارة وتوفير الدفء لمستعملها أصبح ينسج منها الملابس الشتوية مثل الجلابيب والبرانيس، والبطانيات والكثير من الأكسية والأغطية والسجاجيد والطنافس، وغيرها من المنسوجات الصوفية، وقد أشرنا لبعضها في معرض دراستنا للكتان. ومن شعر الجمال تنسج أيضاً الكثير من الأكسية والخيم وحاوليات من الشعر والصوف لحفظ التمور والحبوب، وتعرف محلياً باسم "الغرارة" وهي عبارة عن كيس كبير ينسج من شعر الجمال الممزوج بالصوف...الخ.

وما يزيد عن حاجاتهم كان يعرض في الأسواق أو يحولونه للمدن والبلدان الأخرى المجاورة وخاصة إفريقية والمشرق الإسلامي والمغرب والسودان الغربي.

5. الثروة المعدنية (Mineral wealth): ويقصد بالثروة المعدنية المواد المعدنية الطبيعية الموجودة في باطن الأرض سواء كانت في حالتها الصلبة أو السائلة أو الغازية. وتعرف أيضاً بالمناجم المعدنية، وتشمل الحديد والنحاس والذهب والفضة والقصدير والرصاص والألومونيوم وغير ذلك من المعادن، بما في ذلك المياه الجوفية والطين العلاجي الصالحة للاستخدام في إنتاج المواد. يتم استخراجها واستغلالها اقتصادياً في صناعة أدوات متنوعة ذات أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية والتنمية للمجتمعات.



ألنبسة من العهد الزيري والحمادي. عن: GOLVIN, L., 1957.

والمعدن هو مادة صلبة متجانسة غير عضوية، تحدث طبيعياً، ولها بناء بلوري محدد وتركيب كيميائي معين. وفي عام 1995 وضعت الجمعية الدولية للمعادن⁴⁶ تعريفاً آخر ينصّ على أنّ: «المعدن هو عبارة

46- هي منظمة عالمية اسنها اختصاراً IMA، مؤلفة من أكثر من أربعين دولة تأسست عام 1958م وهي عضو في الاتحاد الدولي للعلوم الجيولوجية. وتتمثل مهمتها الرئيسية في تعزيز التعاون الدولي في العلوم المعدنية وتعزيز وجود مجتمع المعادن بين المجموعات الدولية التي تتعامل مع علوم الأرض.

عن عنصر أو مركب كيميائي كريستالي بطبيعته، متكوّن كناتج عمليات جيولوجية». وللمعادن خواص فيزيائية محددة تعتبر ثابتة لكل معدن.

أخبرنا المؤرخون والجغرافيون عما كانت تزخر به باطن الأرض من معادن منتشرة في أقاليم عديدة من المغرب الأوسط، وكان بعض هذه المعادن يستغل منذ العهد الروماني، مثل منجم الرخام فليفلة بسكيكدة. وقد أشار أكثر من مصدر إلى وجود الحديد والرصاص والفضة والنحاس واللازورد والملح والمرجان في المغرب الأوسط. والمرجان يعدّ من الثروات البحرية، ويشار إليه أحيانا باسم المعدن. ومن المعادن التي احتوت عليها أرض المغرب الأوسط وذكرها بعض المؤرخون في العهد الزييري والحمادي، حيث كانت محل استغلال وتصنيع وتجارة مع الخارج.

5. 1. صناعة الحديد (Iron manufacturing): يعدّ الحديد من أكثر المعادن وفرة في المغرب الأوسط، وقد تم استغلاله في الصناعة، وتحويل ما زاد منه عن الحاجة إلى الخارج عبر مواني بجاية وبونة والجزائر ومرسى الخرز. وكانت مناجم هذا المعدن متوفرة في عدة مدن كما ذكرها الرحالة العرب، ومنها مدينة بونة التي تضم معادن حديد كثيرة، ويحمل منه إلى الأقطار العزيز والكثير⁴⁷. كما أشار كلّ من المقديسي والبكري والإدريسي⁴⁸، إلى وجود معدن الحديد في هذه المدينة.

ومن بين المدن التي تحتوي أيضا على مناجم الحديد مدينة بجاية ومجانة. ويبدو أن أجود أنواع الحديد وأحسنه كان يستخرج من بونة وبجاية، فحديدهما من النوع الطيب حسب قول الإدريسي⁴⁹. ومن المدن التي كانت غنية بمناجم الحديد، وأشار إليه ابن حوقل بصيغة الجمع مما يدل على وجود عدد من المناجم بجبالها، مدينة مجانة⁵⁰ كما أكد كلّ من اليعقوبي والبكري والإدريسي هذه المعلومات⁵¹. واللافت للنظر أن ابن حوقل أشار إلى وجود معادن الحديد بصيغة الجمع في بونة ومجانة، كما نوه الإدريسي أيضا بجودة حديد بونة، وطيبة حديد بجاية.

وقد نشأت صناعات وحرف كثيرة تعتمد على هذا المعدن سواء في بجاية أو في القلعة أو في مدن وقرى أخرى في المغرب الأوسط، وهو ما يؤكّده تقرير الإدريسي في معرض حديثه عن بجاية حيث يقول: "وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة".

47- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 77.

48- للمزيد يراجع المقديسي، ص. 226؛ البكري، ص. 83؛ الإدريسي، ص ص. 260-291؛ اليعقوبي، ص. 68؛ الحموي، ص. 56.

49- الإدريسي أبو عبد الله، 2002م، ص ص. 260-290.

50- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص ص. 77-78.

51- للمزيد يراجع اليعقوبي، ص. 68؛ البكري، وهي كثيرة الزعفران والزرع وفيها معدن حديد وفضة وحجارة المطاحن، ص. 49؛ الحموي، وبها الحديد، ص. 56.

وهذا ما يدل على وجود صناعة تحويلية في المدينة، ومنها صناعة الحديد المتوفر بها. وقد أشار إلى ذلك الشاعر قفي ديوانه⁵². عندما وصف أبواب قصر المنصور بالناصرية قائلا:

ومصفح الأبواب تبرا نظروا *** بالنقش فوق شكوله تنظيرا

تبدو مسامير النظار كما علت *** تلك النهود من الحسان صدورا.

وأما المراكشي، فيصف لنا أحد قصور بجاية الناصرية فيخبرنا عن استخدام الحديد في قصورها فيقول: "وكانت نوافذ قصور بجاية المطللة على البحر بها شبابيك الحديد والأبواب المخزومة المحنية"⁵³. وكان الحماديون ومن قبلهم الزييريون يصنعون رؤوس السهام من الحديد. وكانت أبواب طبنة وهي كثيرة بلغ عددها خمسة أبواب، جميعها تحتوي على أبواب حديد⁵⁴.

علاوة على ما سبق ذكره، فمن المؤكد أن العديد من الأدوات الضرورية التي كان يحتاج إليها الناس في حياتهم اليومية والمهنية، كانت تصنع من الحديد لتلبية احتياجاتهم، مثل الفؤوس والمحاريث والأمشاط والمخارط والمسامير والشبابيك والصفائح كما أخبرنا عنها صاحب كتاب الاستبصار. ومن الأسلحة التي كانت تصنع أيضا السيوف والخناجر والرماح ورؤوس السهام والمطارق الحربية، وجميع الأدوات الحديدية أو المعدنية التي كانت معروفة في ذلك العهد، كانت تصنع كلها في ورشات للحداة يشرف عليها حرفيون ومحترفون ماهرون وفُتروا للناس كل ما يحتاجون إليه من وسائل تساعد في إنجاز أعمالهم وقضاء حاجاتهم.

5. 2. **تصنيع النحاس (Copper manufacturing):** هو من المعادن التي ثبت وجودها واستغلالها في المغرب الأوسط، وأشار إليها الرحالة العرب. كان هذا المعدن يستخرج من جبال كتامة بجيجل ويُحْمَل منها إلى إفريقية⁵⁵. كما ذُكر منجم آخر للنحاس بمدينة مجانة⁵⁶. وقول البكري أن معدن النحاس كان يحول إلى إفريقية، لا يعني البتة بأن سكان المغرب الأوسط لم يكونوا يُصنِّعون هذا المعدن ويستغلون جزء منه محليا، بل ما زاد عن حاجة أهل البلد كان يصدر إلى البلدان المجاورة، ودليلنا على تصنيعه محليا هو ما عثر عليه من تحف مصنوعة من هذا المعدن في موقع قلعة بني حماد وموقع سطيف، وهي محفوظة في المتاحف الوطنية الجزائرية.

5. 3. **تصنيع لازور (Lapis Lazuli manufacturing):** هو من المعادن الثمينة، فلزي ذو لون سماوي الزرقة، يستعمل للزينة ويعتبر أيضا من الأحجار الكريمة، والأجود منه تكون زرقته صافية وضاربة إلى الحمرة أو الخضرة، ويعرف اللازورد أيضا باسم العَوْهَق. ومن فوائده قليل أنه علاج للحالات النفسية

52- ابن حمديس عبد الجبار، ب.ت، ص ص. 545-565؛ للمزيد يراجع: المقري، ص ص. 2، 37.

53- المراكشي ابن عذاري، 1852م، ص. 130.

54- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص ص. 50-51.

55- نفسه، ص. 83.

56- اليعقوبي أحمد، 2002م، ص. 68.

العاطفية والمشكلات الداخلية. وقد استعمل حجر اللازورد في حضارات الشرق القديمة، ففي بلاد الرافدين كان يصنع منه بؤبؤ العين للتماثيل الأكادية والسومرية. وكان حجر اللازورد يستخرج من جبال كتامة في جيجل إلى جانب معدن النحاس⁵⁷. وقد استخدم أيضا في تزيين حيطان قصر اللؤلؤة في بجاية كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب الاستبصار.



خريطة توضح انتشار الخامات الطبيعية بالمغرب الأوسط. عن الباحث.

5. 4. الفضة (Silver manufacturing): هي أيضًا من المعادن الفلزية الكريمة التي تُستخدم في صناعة الحلبي. ومن المدن التي كان يُستخرج منها هذا المعدن مدينة مجانة، حيث أشار ابن حوقل إلى وجود معدن الفضة في مجانة إلى جانب الزعفران والحديد⁵⁸ وما أشار إليه أيضًا البلاذري الذي قال: "بها معدن الفضة"⁵⁹. كما ذكر البكري معادن في مجانة، ومنها منجم فضة يُسمى الوريثي⁶⁰. وأكد ذلك لاحقًا الحموي⁶¹.

ويُذكر أن معدن الذهب كان يُصنَّع في مدينة وارجلان بعد جلبه من غانا. يقول الإدريسي: "وكان تجار وارجلان (ورقلة) وأهل المغرب الأقصى أكثر التجار شراء للتبر، وكان يُجلب من غانا من مدينة

57- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 83.

58- ابن حوقل أبو القاسم، 2022م، ص. 84.

59- البلاذري أحمد، 1317هـ- 1900م، ص. 319.

60- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 43.

61- الحموي ياقوت، 1977م، 5/56.

نقره إلى وارجلان، فيخرجونه منها ويصنعونه في بلادهم⁶². وكانت هذه الدنانير تُسك على شكل الدنانير المرابطة⁶³.

إنّ هذه الإفادات التي قدمها الرحالة والجغرافيون تدل على وجود معدن الفضة في المغرب الأوسط، بل تشير أيضًا إلى إمكانية وجود ورشات لتصنيعها، وهو أمر غير مستبعد. فتصنيع الفضة والذهب والمرجان والنحاس وغيرها من الحرف القديمة جدًا توارثها الأجيال عن آبائهم منذ العصور القديمة، وهي من الحرف التي تتوارث أبا عن جد إلى يومنا هذا. وعليه، فإن تذويب الفضة وتحويلها إلى حلي أمر أكيد في المملك لا شك فيه، وقد عثر على بعض الحلي الفضية في القلعة يعود بعضها إلى العهد القديم والبعض الآخر يعود إلى العصر الحمادي مما يؤكد وجود ورشات لتصنيع الفضة في هذا العهد.

5. 5. **تصنيع الرصاص والزئبق (Lead and mercury manufacturing):** من المناجم الفلزية الكريمة التي تستخدم في صناعة الحلي. ومن المدن التي يستخرج منها هذا المعدن مدينة مجانة، حيث أشار ابن حوقل إلى وجود معدن الرصاص في هذه المدينة إلى جانب معدن الفضة⁶⁴، كما ذكر ابن حوقل أيضًا أن المغرب الإسلامي كان يزود المشرق بمعدن آخر وهو الزئبق الذي كان يحول إلى جانب الرصاص والعنبر والحريير والأكسية الصوفية الرفيعة والصوف والحديد، لكن ابن حوقل لم يحدد أماكن تواجد الزئبق والرصاص بشكل دقيق، وإنما ذكرهما كمعادن للتصدير من المغرب الإسلامي إلى المشرق، وعليه فالمؤكد أنّ الرصاص كان يستخرج من مجانة، وهو ما أخبر به وأكدّه اليعقوبي في فتوح البلدان⁶⁵. لكن بالنسبة للزئبق فلا نعلم مكانه بالضبط، أكان موجودا بالمغرب الأوسط أم في إقليم غيره كإفريقية أو المغرب الأقصى.

5. 6. **تصنيع القصدير (Tin manufacturing):** لم يذكر منجم القصدير إلاّ عند ابن خلكان، الذي أخبرنا بوجوده في مملكة بني حماد في عهد يحيى بن العزيز، من دون تحديد موقعه، وذلك عند حديثه عن السروج والبنود والقباب والأواني⁶⁶. وذكر ابن خلكان للسروج يؤكد لنا وجود هذه الصناعة التي كانت تعتمد على جلود الحيوانات كما أشرنا سابقا. ووجود صناعة الأواني الطينية أيضا أمر حقيقي في المملكة، أثبتتها الاكتشافات الأثرية لهذه الأواني في القلعة وسطيف وأشير وفي مناطق متعددة من المغرب الأوسط. فبتلك الفترة وليس مستغربا أن تكون أيضا أواني أو أدوات قد صنعت من القصدير بجكم توفر هذه المواد بكثرة في ذلك العهد. وقد ثبت بالدليل المادي وجود الكثير من القطع الأثرية المصنوعة من المعادن في القلعة وقد أشرنا إلى بعضها.

62- الإدريسي أبو عبد الله، 2002، ص. 02.

63- الحموي ياقوت، 1984م، ص. 600.

64- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص ص. 94-95.

65- اليعقوبي أحمد، 2002م، ص. 68.

66- ابن خلكان شمس الدين، 1992م، 2/ 240؛ يراجع أيضا: الهادي روجي إدريس، 1، ص. 254.

5. 7 تصنيع المرجان (coral manufacturing): يُصنّفه بعض الرحالة الجغرافيين ضمن زمرة المعادن كما صنّفوا أيضا الدُرُق اللمطية بالمعدن، يعتبر المرجان من أهم المعادن التي اشتهر بها المغرب الأوسط، وهو من أجود أنواع المرجان في شمال إفريقيا والأندلس، كما وصفه بعض المؤرخين بالجودة والحسن فلا يضاهيه أي شيء في طبيعته وحسنه وجودته وهو من الثروات البحرية.

وكان المرجان يدر أموالا كثيرة على الصيادين. وكانت سواحل مدينة مرسى الخرز بالقالمة موطنه، وكان الصيادون يخرجونه من الشعاب بأكثر من خمسين (50) قاربا في جميع الأوقات، وفي كل قارب العشرون رجلا، فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم، ثم يجلى ويباع جزافا رخيصا ولا إشراق له قبل جليه ولا لون⁶⁷. كما أشار إلى وجوده أيضا في مرسى الخرز ابن حوقل والبكري والإدريسي، كلهم تحدّثوا عن صيد المرجان وتصنيعه وتحويله إلى سائر الأقطار مشرقا ومغربا. ولعلّ أول من ذكر هذا المنجم من الرحالة العرب صاحب كتاب صورة الأرض⁶⁸، وسماه معدنا أثناء حديثه عن المرسى فقال: "ومرسى الخرز نبيلة لمكان المرجان وحضور من يحضرها من التجار، ولا أعرف في شيء من البحار له نظيرا في الجودة، ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز".

أمّا المقديسي فيقول: "ومرسى الخرز مدينة في جزيرة على البحر ومنها يرتفع القرن وهو المرجان لا معدن له غيرها ولا يخرج إلّا من بحرهما". ويعتبر المقدسي معدن المرجان من خصائص إقليم المغرب (الأوسط)، فيقول: "ولا معدن لمجانة (يقصد إقليم مجانة) إلّا المرجان وهي كالجبال في البحر⁶⁹ ونفس الوصف ذكره البكري والإدريسي عن ومرجان القالة بإقليم مجانة⁷⁰. وكان المرجان يعالج على الموقع نفسه، حيث يتم صقل الخام غير الملون، ثم يباع بلا ترتيب بأثمان زهيدة للباعة الذين يبيعونه بدرهم⁷¹.

5. 8. محاجر الأرحاء والمطاحن (Millstone quarries): كانت هذه المحاجر والمطاحن جزءا أساسيا من البنية الاقتصادية للمجتمعات القديمة. فقد أسهمت في توفير المواد الأولية للطحن وصناعة الأطعمة الأساسية. كما كانت المطاحن المائية والطواحين الهوائية تمثل نقلة نوعية في تحسين الإنتاجية الزراعية وتقليل الاعتماد على العمل اليدوي.

كانت صناعة المطاحن والأرحاء مزدهرة للغاية في المغرب الأوسط، بفضل توفر المادة الأولية اللازمة لهذه الصناعة في محاجر وجبال منطقة مجانة، وكانت هذه المحاجر تتميز بجودة وقوة الحجارة المستخرجة منها، ما جعلها مثالية لاستخدامها في صناعة الأرحاء التي تُستخدم لطحن الحبوب وتحويلها إلى دقيق. وقد اعتبر بعض الرحالة منجم الأرحاء معدنا. وكانت مجانة هي مصدر محاجر الأرحاء، يقول

67- المقديسي شمس الدين، 1991م، ص. 239.

68- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 76.

69- المقديسي شمس الدين، 1991م، ص ص. 226-229.

70- للمزيد يراجع: البكري، ص. 55؛ الإدريسي، ص. 268.

71- المقديسي أبو القاسم، 1991م، ص ص. 50-51.

ابن حوقل: "ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب"⁷² وقال عنها البكري: "مجانة مدينة قديمة وبها مقطع حجارة الأرحاء ليس على الأرض مثله، وهي مجلوبة إلى كل مكان"⁷³. أمّا الإدريسي فقال: "تقطع المطاحن من جبالها الشاهقة التي إليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحين، قد يمر عليه عمر الإنسان ولا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعة هذا لصلابته ودقة أجزائه"⁷⁴. وعلى هذه المادة الأولية من الصخور قامت صناعة مزدهرة للمطاحن والأرحاء في جميع أنحاء المغرب الأوسط، فأنشئت مطاحن على الوديان في عدة مدن بالمغرب الأوسط مثل قزرونة ومجانة ومليانة ونقاوس وقسنطينة وغيرهم من المدن، ونظرا لجودة هذه الصخور وصلابته كانت تحمل إلى بلاد المغرب كله. ومن كثرة المطاحن ببعض مدن المغرب الأوسط، فقد أطلق على أحد أبواب مدينة تاهرة، "باب المطاحن"⁷⁵.

5. 9. تصنيع الجص (Gypsum plaster manufacturing): من المعادن التي ذكرها الإدريسي هو معدن الجص (الجبس)⁷⁶، الذي كان يُستخرج من منطقة بين جيجل وبجاية، وبالتحديد من قرية متوسة الصغيرة التي تقع غرب المنصورية كان الجص يُستخرج من هذه المنطقة ويُحمل إلى مدينة بجاية⁷⁷.

5. 10. استخراج وتصنيع الملح (Salt extraction and manufacturing): من المعادن التي اشتهر بها المغرب الأوسط في العهد الزييري والحمادي معدن الملح، الذي يقع منجمه بمنطقة بسكرة، بربوة لوطاية، وكان يحول منه إلى باقي مدن المملكة والأقطار البعيدة، بما في ذلك بلاد السودان الغربي، وهو من فصيلة الأملاح المعدنية يمكن أن يعطي عند الحرق مواد قلوية منها الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم مثل (أكسيد الكالسيوم وهو أكسيد قلوي معدني). كان تجار ورجلان مياسير يغدون إلى غانا ويقايضون الملح والتمور ومنتجات المغرب الأوسط، وربما أيضا حجر الأرحى والخز مع أهل السودان، وخاصة بلاد غانا مقابل التبر (الذهب). يقول البكري: "وكان الفرويون من بلاد السودان يقايضون الملح بالذهب مع تجار ورجلان"⁷⁸.

كان الملح يستغل في عهد العبيديين (الفاطميّين)، وكان يستخرج بكثرة، من جبل ملح ببسكرة، فيقطع فيه الملح كالصخر الجليل، ومنه كان عُبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم⁷⁹.

72- ابن حوقل أبو القاسم، 1996م، ص. 84.

73- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 49.

74- الإدريسي أبو عبد الله، 2002م، ص. 293.

75- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 66.

76- الإدريسي أبو عبد الله، 2002م، ص. 269.

77- نفسه.

78- البكري أبو عبيد، ب.ت، ص. 174.

79- نفسه، ص. 52.

5. 11. المرتك (Cerussa)⁸⁰: وهو من المعادن الفلزية ويسمى أيضا المُرْدَاسُنْج، وكان يستخرج من جنوب جبال مجانة⁸¹.

5. 12. الكحل (الأثمد)⁸²: من بين المعادن التي اشتهرت بها مجانة معدن الكحل الذي كان يستخرج من جبالها⁸³. والكحل هو حجر معدني ونباتي يطحن ويستعمل كمسحوق للزينة و/أو علاج العيون. يمكن أن يكون أسوداً أو رمادياً أو أزرقاً حسب تركيبته. تتألف بعض الأكحال بشكل أساسي من كبريتيد الأنثيمون. وجاء في تاج العروس أن الأثمد "حَجَرُ الكُحْلِ أسودٌ يميل إلى الحُمْرَةِ، ومعدنه بأصبهان، وهو أجودُه. وبالمغرب وهو أصْلَبُ"⁸⁴، وجاء في كتاب تحفة الأحوزي "أنَّ الأثمن يكون في بلاد الحجاز وأجوده يؤتى من أصبهان"⁸⁵.



تمثال لأسد من الرخام الرمادي



قطع من الزجاج الحمادي



مصباح من النحاس



شاهد قبر من الرخام

منتجات صناعية حمادية من القلعة. عن الباحث.

80- هو معادن طبيعي أي مركب كيميائي له الصيغة (PBO) أول أكسيد الرصاص وكلمة (مرتك) بالإنجليزية (Litharge) فارسية معربة وهو الرصاص المحرق، إذا وجد في الطبيعة يكون ثقيل ذو لون فضي أو ذهبي وهو سام إذا اخذ داخليا، سابقاً كان يستعمل المرتك كخضاب وحالياً، يستعمل لتحضير مركبات الرصاص الأخرى كما يدخل في صناعات كيميائية أخرى، وطبياً يستخدم في صناعة الأدوية الخاصة بالأمراض الجلدية كالبهاق والصدفية والتعلبة والرصاص.

81- اليعقوبي أحمد، 2002م، ص. 188.

82- الكحل: هو جوهر الإسرب (كبريتيد الأنثيمون) وفي كتاب القانون لابن سينا: «الإثمد وهو جوهر الإسرب الميت وقوته شبيهة بقوة الرصاص المحرق». والكحل نوعان أحدهما زجاجي المكسر رازبي، والآخر محبب أصفهاني، وليس هو بحجر حجري، لكنه جوهر الإسرب. والكحل يُطلق على المفرد، وقد يفيد بالأصفهاني وهذا هو الإثمد.

83- اليعقوبي أحمد، 2002م، ص. 188.

84- الزبيدي محمد مرتضى، 2005م، 4/468.

85- المباركفوري (محمد بن عبد الرحمن)، ب.ت، 447/5.

6. الخاتمة:

بعد هذا الاستعراض لخامات ومواد الصناعة والحرف في المغرب الأوسط خلال فترة الحكم الزييري والحمادي، يتبين أن هذا الإقليم كان يتمتع بموارد صناعية وحرفية غنية ومتنوعة، استُخدمت في مختلف جوانب الحياة المهنية، سواء في الزراعة، الصناعة أو في الاستخدامات المنزلية. إن المناجم المعدنية التي كانت تميز المنطقة، والتي تنوعت بين الحديد الذي كان الأكثر انتشاراً، وبين المعادن الأخرى الأقل عدداً والأعلى قيمة مثل الفضة، المرجان، واللازورد، شكلت جزءاً أساسياً من الحياة الاقتصادية في هذه الفترة. تتوزع هذه المعادن في مناطق عدة من إقليم المغرب الأوسط ومدنه، ومن أبرزها مدينة مجانة التي كانت تحتوي على معظم هذه المعادن. كما انفردت بعض المدن مثل مرسى الخرز بوفرة المرجان، ومنطقة كتامة في جيجل باللازورد والجبس والنحاس، ومنطقة بسكرة بمناجم الملح.

لعبت هذه المعادن دوراً هاماً في إقامة ورشات حرفية ومصانع عائلية صغيرة لعدة مهن في أنحاء المملكة، ولا سيما في مدنها الكبيرة مثل القلعة وبجاية وطبنة وسطيف، بالإضافة إلى مدن أخرى مثل بسكرة وورقلة والجزائر ومرسى الخرز. وقد ساهمت هذه الورش في إنتاج العديد من المنتجات الصناعية التي استخدمت خامات معدنية وخشبية ونباتية وحيوانية، وذلك بفضل سواعد الحرفيين المحليين المهرة. هذه الورش ساعدت على قيام نهضة صناعية وتجارية نشطة في أنحاء المغرب الأوسط، خاصة في عهد مملكة بني حماد. فقد أصبحت موانئها محطاً للسفن والقوافل التجارية، حيث كانت البضائع تصل إليها برا وبحرا، وتجلب من مختلف الأقطار. وكانت عاصمة المملكة، بجاية، تشهد حركة تجارية نشطة، حيث كان أهلها يتاجرون مع تجار المغرب الأقصى والصحراء والمشرق، ويشهدون ازدهار الصناعات المحلية. ووفقاً لما ذكره الإدريسي، كانت بجاية مكاناً حيث تُباع البضائع بالأموال المقنطرة، وكان سكانها يعيشون في رفاهية وثراء، خاصة في أواخر فترة حكم بني حماد.

وقد انعكس هذا الثراء على نمط الحياة في المجتمع الحمادي، حيث تنبأه أهل بجاية بالترف، وظهرت مظاهر من الغلو في الملابس، مثل الجلابيب الفاخرة التي تشبه "الفتوحيات" التي تلبسها النساء، وعمائم الرجال المطرزة والمصنوعة من أقمشة غالية الثمن، إضافة إلى النعال الموشحة بالذهب والفضة. هذا الترف البالغ في اللباس والمظهر الاجتماعي أثار استنكار ابن تومرت، الذي شهد هذه الظواهر في بجاية بعينه، فانتقد الترف والتزين بزي النساء التي كان حراماً على الرجال ارتداؤها، طبقاً لما تقتضيه الشريعة الإسلامية.

خلاصة القول، هو أن المغرب الأوسط كان يتمتع بموارد طبيعية وفيرة تساهم في ازدهار مختلف الأنشطة الاقتصادية والصناعية. فقد كانت المنطقة غنية بالمعادن الثمينة والمتنوعة التي فتحت المجال أمام أهلها لإقامة ورشات ومصانع متخصصة في الصناعات المعدنية المتعددة. كما أن المنطقة كانت تملك ثروات غابية وحيوانية، مما أسهم في تطوير صناعات وحرف متنوعة في مجالات الجلدية والخشبية والنسجية. هذه الموارد ساعدت في تعزيز النشاط الصناعي والتجاري للمنطقة، وأسهمت في توفير

منتجات محلية عالية الجودة. انعكست بشكل واضح على الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط وأدى ذلك إلى نهضة اقتصادية واجتماعية لم تعرفها المنطقة من قبل ولا من بعد.

قائمة الببليوغرافيا:

1. ابن حمديس عبد الجبار بن أبي بكر الصقلي، ب.ت، ديوان ابن حمديس، تقديم وتصحيح إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
2. ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)، 1996م، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت-لبنان.
3. ابن خلدون (عبد الرحمن)، 1981م، كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني بيروت.
4. ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد)، ب.ت، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.
5. ابن الجزار (أحمد بن إبراهيم)، ب.ت، الاعتماد في الأدوية المفردة، تحقيق إبراهيم بن مراد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
6. أبو حنيفة (أحمد بن داوود الدينوري)، 1394هـ-1974م، كتاب النبات، ج/3، دار العلم بيروت لبنان.
7. الإدريسي (أبو عبد الله)، 2002م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
8. إخوان الصفاء، 1975م، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوقاء، مج1، دار صادر دار للطباعة والنشر - بيروت.
9. البكري (أبو عبيد)، 1857م، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. تحقيق دو سلان، المكتبة الحكومية-الجزائر.
10. البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي)، 1317هـ/1900م، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية.
11. البيهقي (أبي بكر بن علي الصنهاجي)، 1912م، المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المصور للطباعة الرباط.

12. الحميري (محمد بن عبد المنعم)، 1984م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان.
13. بونار (رابح)، 2019م، المغرب العربي تاريخه وحضارته، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.
14. الطبري (محمد بن جرير)، 1422هـ-2001م، تفسير الطبري من جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، ج14، ص. 263، مؤسسة الرسالة.
15. الطمار (محمد)، 2010م، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية.
16. العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد)، 1971م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققه، كامل سلمان الجبوري، ج4، دار الكتاب العلمية، بيروت -لبنان.
17. حمودة (علي محمد)، 1957م، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي؛ دار الكتاب العربي مصر.
18. عويس (عبدالحليم)، 1411هـ - 1991م، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، دار الوفاء - القاهرة .
19. القاضي (أبو الفضل عياض)، 1968م، تراجم أغلبية، تحقيق الطالب، نشر الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية تونس.
20. الشماخي (بدر الدين ابو العباس)، 1412هـ/1992م، كتاب السير، تح، أحمد بن سعود السيابي، ج1، ط2.
21. المالكي (ابو بكر عبد الله بن محمد)، ب.ت، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية...، تحقيق البكوش بشير راجعه محمد العروسي المطوي، ج1 و2، دار الغرب الإسلامي بيروت.
22. المبارك فوري (محمد عبدالرحمن)، ب.ت، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترميذي، راجعه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، ج5، دار الفكر.
23. مجهول مراكشي، 1852م، وصف إفريقية من كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر M Alfred de Kremer , Vienne de l'imprimerie impériale royale de cour et d'état.
24. محسن عقيل، 1423هـ-2003م، معجم الأعشاب المصور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
25. المقرئ (أحمد بن محمد التلمساني)، 1968م، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج. 2، دار صادر، بيروت.
26. المراكشي (ابن عذارى)، 1848م، البيان المغرب في ذكر أخبار المغرب، صححه رينحرت دزي ليدن.

27. المقدسي (شمس الدين البشاري)، 1411هـ-1991م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة.
28. الكعك (عثمان)، بلاغة العرب في الجزائر، نشر مكتبة العرب بتونس.
29. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية-تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، 2، دار الغرب الإسلامي.
30. يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني، 1421هـ-2000م، المعتمد في الأدوية المفردة، ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي، ط1، منشورات محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
31. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق)، 1422هـ-2002م، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان.
32. ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري)، 1999م، لسان العرب. تح: عبد الله علي الكبير، ط3، محمد أحمد، دار المعارف، باب السين، القاهرة.
33. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، 1397هـ/1977م، معجم البلدان، مج4، دار صادر بيروت.
34. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، 1432هـ-2010م، تاج العروس من جواهر القام، تح، إبراهيم الترزي، دار النوادر للنشر والتوزيع.
35. وديع جبرن، 1407هـ-1987م، معجم النباتات الطبية، ط1، دار الجيل بيروت - لبنان.
36. القدس العربي، العوسج، 2021/03/23. <https://www.alquds.co.uk> شوهد يوم 2024/11/27، 22:00 سا.
37. السقا عبد (محمد)، السمسم كنز المعادن ومنجم الفيتامينات، شوهد يوم 2024 /11/20، 21:30 سا <https://www.alukah.net/culture/0/98903>

38. MARÇAIS, G., 1946, La Berbérie musulmane et l'orient au moyen age, Paris, Aubier.
39. LAGHRIB, A.; HAROUZ, A., 2023, «Contributions of the doctor Abu jafar bin Ali al Bidhoukh al-Qala'i (d. 575 AH / 1179 CE) in the Medical and Pharmaceutical Field», in *As'ur* (Rev. Hist. Nord- Afrique), 22, 2, août, pp. 158- 170.
40. FERAUD, L. C., 1868, «Exploitation des forets de la karasta dans la kabylie orientale sous la domination turque», in R. AF., pp. 378-390.
41. FERAUD, L. C., 1869, « Histoire des villes de la Province de Constantine, Bougie», in *Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de la Province de Constantine*, 3, 2, pp. 137-220.